[م] 4/4- وعَنْ أبي عَبْدِ اللَّهِ جابِرِ[1] بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيِّ رضِيَ اللهُ عنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَع النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم في غَزَاة فَقَالَ: "إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كانُوا مَعكُم حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ" وَفِي روايَةِ: "إِلاَّ شَركُوكُمْ في الأَجْرِ" رَواهُ مُسْلِمٌ.
ورواهُ البُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم فَقَالَ: "إِنَّ أَقْوَامَاً خلْفَنَا بالمدِينةِ مَا سَلَكْنَا شِعْباً وَلاَ وَادِياً إِلاَّ وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ".

[ش] <u>معاني الكلمات...</u>

- الأنصاري: نسبةً للأنصار الذين نصروا النبي -صلى الله عليه وسلم-ودينَه من أهل المدينة.
- بالمدينة: مدينة النبي -صلى الله عليه وسلم-التي هاجر إليها وصحبه وأقام فيها دولة الإسلام وشوكته وكانت تُسمى قبل الهجرة (يثرب)[2] فسماها النبيُ -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة أو طَابة أو طَيبَة.
- غزاة: هي غزوة تبوك (كما ثبت ذلك في رواية البُخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه) وكانت في سنة تسع بعد الهجرة[3].
- ما سرتم مسيراً: سيراً أو في مكان السير. **- قطعتم وادياً:** عبرتم، والوادي (مسيل الماء بين جبلين أو مرتفعين).
- إلا (كانوا معكم)، (شركوكم في الأجر): كان لهم مثل ما لكم من الثواب[4]. **- سلكنا شِعباً:** دخلنا وسرنا، الشِعبُ (الطريقُ في الجبل). **- أقواماً:** رجالاً لأنّ القومَ مُختصون بالرجال.
- وهم معنا: بنياتهم في المُشاركة بالأجر والثواب وليس بذواتهم.
حبسهم العُذر: منعهم العُذر، والعُذرُ (هو الحُجة التي يُعتذر بها للخروج من الشيء) الجمع أعذار، واصطلاحاً (ما يتعذر على العبد المُضي فيه على موجب الشرع إلا بتحمل ضرر زائد)[5].

<u>المعنى الإجمالي للحديث...</u>

يُخبرنا جابر بن عبد الله الصحابي الجليل رضي الله عنه وعن أبيه أنه كان وصحابة النبي من المؤمنين الصادقين مع النبي-صلى الله عليه وسلم-في غزوة تبوك والتي كانت تُعرف بـ **(غزوة العُسرة لما كان فيها من ضيق الحال وقوة العدو وبُعد المسافة وشدةِ الحر وتخلفِ المنافقين وتثبيطهم لجماعة المؤمنين)** ومع كل هذه الموانع والمُثبطات خرج المؤمنون الصادقون مع النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- لمُلاقاة الروم بعد قدوم الأخبار بحشدهم الحشود لحرب المسلمين، وضرب الصحابةُ في هذه الغزوة أمثلةً في التضحية والفداء بالنفس والمال والغالي والنفيس لنُصرة دين الله تعالى، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُتبِعُ الرجلين والثلاثة على الدابة الواحدة، ومنهم من اعتذر لهم النبي صلى الله عليه وسلم عن الخروج معه في الغزوة لعدم تمكنه من توفير ما يحملهم عليه في هذا السفر الطويل، وذهب النبي إلى تبوك بصحابته وعسكر فيها وعلمت الروم ومن حالفها من نصارى العرب بقدومه وتخاذلوا عن مُلاقاته **(ونصرَ الله تعالى نبيَّه وأعزَّ جُنده وألقى الرعب والمهابة في قلوب أعدائهم)**، وفي طريق عودته للمدينة (كما يتضح من رواية أنس عند البُخاري) أخبر صحابته رضي الله عنهم بسعة رحمة الله تعالى وفضله على عباده المؤمنين الصادقين أنّ من تَخلَّفَ من أهل المدينة عن غزوة العُسرة بُعذر من (مرض أو

---

[1] أبو عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاري صحابيٌ جليلٌ من صحابة النبي صلى الله عليه وسلم من قبيلة الخزرج من أهل المدينة، أسلم قبل الهجرة وحضر مع أبيه بيعة العقبة وهو صغير، وكان جابر من أصغر الصحابة سناً، وكان من ساداتهم وفضلائهم المتحفين بحبّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أكثرَ من الغزو والجهاد مع النبي ففي صحيح مسلم يقول جابرٌ عن نفسه «غزوت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تسع عشرة غزوة ولم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي، فلما قتل أبي لم أتخلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة قط»، وكان من الرواة المُكثرين فقد رويَ له 1540 حديثاً، توفي بالمدينة سنة74هـ وهو آخر الصحابة موتاً بالمدينة.

[2] ورد في كراهة تسمية المدينة النبوية بيثرب: ما رواه البخاري (1871) ومسلم (1382) عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَقُولُونَ يَثْرِبُ! وَهِيَ الْمَدِينَةُ) قال الحافظ في الفتح: " قَوْله: (يَقُولُونَ يَثْرِب وَهِيَ الْمَدِينَة) أَيْ أَنَّ بَعْض الْمُنَافِقِينَ يُسَمِّيهَا يَثْرِب وَاسْمهَا الَّذِي يَلِيق بِهَا الْمَدِينَة، وَفَهِمَ بَعْض الْعُلَمَاء مِنْ هَذَا كَرَاهَة تَسْمِيَة الْمَدِينَة يَثْرِب، وَقَالُوا: مَا وَقَعَ فِي الْقُرْآن إِنَّمَا هُوَ حِكَايَة عَنْ قَوْل غَيْر الْمُؤْمِنِينَ، وَسَبَب هَذِهِ الْكَرَاهَة لِأَنْ يَثْرِب إِمَّا مِنْ التَّثْرِيب الَّذِي هُوَ التَّوْبِيخ وَالْمَلَامَة ، أَوْ مِنْ الثَّرْب وَهُوَ الْفَسَاد وَكِلَاهُمَا مُسْتَقْبَح ، وَكَانَ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبّ الِاسْم الْحَسَن وَيَكْرَه الِاسْم الْقَبِيح.

[3] تبوك: موضع بين وادي القرى والشام، وهي الآن مدينة تبوك مقر إمارة منطقة تبوك وكبرى مدن شمال السعودية، وحولها بعض من أهم الآثار في الجزيرة العربية، تُعد منطقة تبوك البوابة الشمالية للجزيرة العربية، وطريقاً حيوياً للتجارة والحجاج والمعتمرين من خارج الجزيرة العربية، وتبعد عن المدينة 725كم تقريباً، توجه النبي صلى الله عليه وسلم في سنة تسع للهجرة إلى تبوك من أرض الشام (وهي آخر غزواته) لغزو من انتهى إليه أنه قد تجمع من الروم وعاملة ولخم وجذام، فوجدهم قد تفرقوا فلم يلقَ كيداً، وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بتبوك أياماً حتى صالحه أهلها، وقد أجرى الله فيها على نبيه الكثير من المُعجزات التي نقلها لنا صحابته الكرام.

[4] قال العاقولي في «شرح المصابيح»: [هذا دليل على أنهم شركاء في الأجر وعلى التساوي أيضاً، لأنه إذا قال الرجل لصاحبه هذا لي ولك حُمِلَ على المساواة، ولذلك تُجعل الدار بينهما نصفين إلا أنَّه يُستدل بقوله تعالى: {لا يستوي القاعدون} (النساء: 95) الآية على ترجيح جانب الغازي على جانب القاعد، فيحمل ذلك على القاعد من غير عذر، والتساوي المفهوم من الحديث على القاعد بعذر فلا معارضة بين الآية والحديث] اهـ (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين 1/65).

[5] معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية: (2/485).

ضعفٍ أو فقرٍ شديدٍ لا يملكون معه تجهيز أنفسهم للغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم) أنّ الله تعالى أمضى لهم جهادهم واحتسب لهم أجرهم بصحة نيّاتهم وقوة إخلاصهم لله تعالى، فكأنهم باشروا الغزو مع النبي -صلى الله عليه وسلم- بذواتهم وإن لم يخرجوا فيه ويحضروه، وهذا هو معنى قوله صلى الله عليه وسلم: **"إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالاً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً، وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً إِلاَّ كانُوا مَعكُم حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ"** وفي رواية **"حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ"**.

مُناسبةُ الحديث للباب...

حيثُ دلَّ الحديث على أنّ الله تعالى يُعطي على صحة النية وصلاحها أجرَ مُباشرة العمل وإن لم يتمكن صاحبها من مُباشرته لعُذر شرعي.

الفـــوائــد....

1- بيان جهاد النبي صلى الله عليه وسلم وصبره العظيم في نشر دين الله تعالى وهداية العالمين.

2- بيان صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته **(وأنّه ينبغي على من يدعوا الناس للخير أن يكون أول الممتثلين لما يدعوا إليه)**.

3- بيان صدق صحابة النبي صلى الله عليه وسلم وإخلاصهم لله تعالى.

4- أنّ النية تبلغ العمل، وأنّ لكل امرئٍ ما نوى **(فمن نوى خيراً فخير، ومن نوى شراً فلا يلومنّ إلا نفسه)**.

5- بيان فضل الله تعالى ورحمته بعباده المؤمنين **(حيثُ أجرى عليهم أجرهم بصحة نيّاتهم مع ما بهم من الأعذار المانعة لمباشرة الأعمال بذواتهم)**.